*EISSN 2830-8352 ** ISSN 2800-1133*

العنف الرمزي المجتمعي، دلالاته، ومظاهره: قراءة نظرية لأفكار "بيير بورديو"

Societal symbolic violence, its indications, and methods: A theoretical reading of Bourdieu's thoughts

د. وردة قراينية*

جامعة الجزائر 3 ، grainiawarda@yahoo.fr

تاريخ الإستلام: 2023/03/30 تاريخ القبول: 2023/06/24 تاريخ النشر: 2023/06/30

ملخص:

جعل عالم الاجتماع الفرنسي المعاصر بيير بورديو (1930-2002) مهمته الأساسية فضح سياسة واستراتيجية المهيمنين وتفكيك خطابهم من خلال السوسيولوجيا.وفي سبعينيات القرن الماضي طرح مفهوم العنف الرمزي من خلال دراسته وتحليله لمفهوم السلطة والهيمنة، واعتبره من أشد أنواع العنف خطورة لأنّه عنف لطيف وغير مرئي، وهو لا يتحقق إلاّ من خلال تواطؤ المهيمن عليه مع المهيمن بالرضوخ والقبول، كما تتجسّد مظاهره من خلال عدة مفاهيم: كالهيمنة الذكورية، والعنف المدرسي، وهيمنة وسائل الإعلام خاصة التلفزيون على المواطنين. ولا بد من تقديم بعض الحلول للحد من هذا العنف كربط المدارس بمراكز الرعاية الاجتماعية والنفسية وفرض رقابة على وسائل الإعلام.

الكلمات المفتاحية: العنف؛ العنف الرمزي؛ العنف المدرسي؛ الهيمنة؛ الهيمنة التلفزيونية؛ الهيمنة الذكورية.

***

* المؤلف المرسل

Abstract:

The contemporary French sociologist Pierre Bourdieu (1930-2002) made it his primary mission to expose the policy and strategy of the dominant and dismantle their discourse through sociology. Visible, and it is only achieved through the complicity of the dominant with the dominant by submissiveness and acceptance, and its manifestations are embodied through several concepts: such as male domination, school violence, and the dominance of the media, especially television, over citizens. Some solutions must be provided to reduce this violence, such as linking schools to social and psychological care centers and imposing censorship on the media.

Keywords: dominance; male dominance; School violence; symbolic violence; television dominance; violence.

مقدمة

يعتبر العنف من الأمور التي تحظى باهتمام القانون والثقافة حيث يسعى كلاهما إلى قمع ظاهرة العنف ومنع تفشيها. ومن الممكن أن يتخذ العنف صورًا كثيرة تبدو في أي مكان على وجه الأرض، بدايةً من مجرد الضرب بين شخصين والذي قد يسفر عن إيذاء بدني وانتهاءً بالحرب والإبادة الجماعية التي يموت فيها ملايين الأفراد. والجدير بالذكر أن العنف لا يقتصر على العنف البدني فحسب بل على العالم أجمع، فهو تعبير عن القوة الجسدية التي تصدر ضد النفس أو ضد أي شخص آخر بصورة متعمدة أو إرغام الفرد على إتيان هذا الفعل نتيجة لشعوره بالألم بسبب ما تعرض له من أذى. وتشير استخدامات مختلفة للمصطلح إلى تدمير الأشياء والجمادات (مثل تدمير الممتلكات). ويستخدم العنف في جميع أنحاء العالم كأداة للتأثير على الآخرين.

وقد يكون العنف فيزيائيا وهو الذي يلحق المضرة بالآخرين جسدياً ومادياً وعضوياً، أو عنفا رمزيا وهو عنف لطيف يكون بواسطة اللغة، والسيطرة والإيديولوجيات المعروفة، والأفكار المتداولة، ويكون أيضاً من خلال الإساءة والشتيمة، والدين والإعلام والعنف العقلي. ويعدّ هذا الأخير، مفهوما سوسيولوجيا معاصرا يشير إلى فرض المسيطرين طريقتهم في التفكير والتعبير والتصور الذي يكون أكثر ملائمة لمصالحهم، ويتجلى في ممارسات قيمية ووجدانية وأخلاقية وثقافية تعتمد على الرموز كأدوات في السيطرة والهيمنة، مثل: **اللغة، والصورة، والإشارات، والدلالات، والمعاني**، فهو عنف نائم خفي هادئ، غير مرئي وغير محسوس حتى بالنسبة لضحاياه.

ويعدّ مفهوم العنف الرّمزي واحدا من أهم الألفاظ التي تصدّرت طروحات عالم الاجتماع الفرنسي Pierre BOURDIEU عام 1972، فهو يعد من الألفاظ والكلمات المفتاحية المؤسسة لسوسيولوجية بورديو la sociologie bourdieusienne .

وسنحاول من خلال هذا النّص تسليط الضوء على مفهوم العنف الرمزي من وجهة نظر بورديو، والالمام بجميع جوانب المفهوم لفهم خصوصيته، ونطاقه النظري.

وعليه نطرح سؤال الإشكالية التالي:

ماهو العنف الرمزي؟ ماهي دلالاته وفقا لسوسيولووجية بورديو؟ وماهي مظاهره و انعكاساته على المجتمع؟

I. التعريف والدّلالة:

يعرّف (بيير بورديو)العنف الرّمزي بأنّه: **"عبارة عن عنف لطيف وعذب، وغير محسوس، وهو غير مرئي بالنسبة لضحاياه أنفسهم، وهو عنف يمارس عبر الطر ائق والوسائل الرمزية الخالصة، أي: من خلال التواصل، وتلقين المعرفة، وعلى وجه الخصوص عبر عملية التعرف والاعتراف، أو على الحدود القصوى للمشاعروالحميميات، كالإحساس والعواطف والوجدان".** (Bourdieu، 2009)

وعلى عكس العنف الجسدي، فإنّ العنف الرّمزي من الصعب فهمه فورا، وإذا كان العنف الجسدي يُرى ويُسمع، فإنّ نظيره الرمزي يبقى دقيقا subtile وغير مرئيinvisible، ومع ذلك فإنّ استخدام العنف الرمزي يبقى يمارس، وفقا لـ(بورديو)، عملية هيمنة على الأفراد في المجتمع. فأثار الخضوع تماما مثل أعمال أو أفعال الإكراه les actes de contrainte التي تحكم النظام الاجتماعي والتي تنتج العنف الرّمزي الذي يُمارس بتواطؤ من ضحاياه (فالعنف الرمزي وفقا لبورديو لا يكون عنفا إلاّ بقبول الضحية وخضوعها للهيمنة والتزامها الصمت، ففي هذه الحالة فقط يتمكّن الآخر من فرض سيطرته وممارسة العنف) . (Landry) 2006)

وقد سُجّل لفظ "العنف الرمزي" كفرد من عائلة الظواهر الرّمزية (السلطة الرمزية، الهيمنة الرّمزية، الثورة الرّمزية، الخ)، التي تسعى سوسيولوجية (بورديو) إلى تسليط الضوء عليها. فكل لفظ من هذه الألفاظ يُظهر أنّ الأفراد قد اجتمعوا بطريقة ما ليتمكنوا من تجديد هيمنة خارجية واعتباطية على أنفسهم(Landry, 2006) . أي أنّهم

يشاركون الجاني أو المعنّف في جريمته من خلال خضوعهم وقبولهم والسماح له بالتمادي.

فالعنف الرمزي هو ذلك الأسلوب من العنف الذي يزاوَل على فاعل اجتماعي ما بموافقته ومعرفته، ولهذه القضية محصلة واسعة على الحوار الفكري الدائر حول ما إذا كانت النفوذ تخرج من أسفل، وحول ما إذا كان الشخص يستجيب للتحكم، وأنه يحبذ هذه الوضعية المفروضة عليه، وبشكل آخر، فإن الناشطين الاجتماعيين يعرفون الإكراهات المهيمنة عليهم، وهم حتى في الحالات التي يكونون فيها مستجيبين لحتميات، يساعدون في إنتاج المفعول الذي يزاول عليهم نوعاً من التعين والإكراه، ولعل مفعول السيطرة إنما يخرج من هذه التفاعلات والتوازنات بين المحددات الحتمية وكيفيات إدراكها.

ويلاحظ أن العنف الرمزي أكثر خطورة من باقي أنواع العنف المادي والسلطوي؛ لأنه عنف عادي وبسيط ولا شعوري، ولا يعترف به – مجتمعيا- على أنّه عنف، بل تعوّد عليه الناس، وقبلوا به ماداموا خاضعين لمجموعة من الحتميات والجبريات المجتمعية التي تتحكم فيهم، ويعملون على تكريسها في واقع حياتهم. ومن ثم، لا نرى لدى الناس أي رفض أو مقاومة لهذا العنف المعنوي والرمزي، بل يعتبرونه فعلا عاديا، على الرغم من خطورته وآثاره الخطيرة نفسيا ومجتمعيا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا. وأكثر من هذا لم يشر (كارل ماركس) إلى هذا النوع من العنف، بل اكتفى بالعنف الطبقي ، على الرغم من وجود هذا العنف على الصعيد الاقتصادي. (Landry، 2006)

وهذا ما يحدث في مؤسسات المجتمع المختلفة والتي تمارس عنفا رمزيا على الأفراد والمجتمع، ففي مؤسسات العمل مثلا، قد يمارس المدير عنفا رمزيا على الموظف من خلال السّب أو الشتم، أو التعجرف أو فرض إيديولوجياته وقراراته أو أو.... الخ، ولا يمكن أن نقول أنّ الموظف قد تعرّض للعنف الرّمزي ما لم يسكت ويرضخ، خوفا على منصبه أو راتبه مثلا أو لأسباب أخرى، فهو يشارك المعنّف في جريمته

بالجعل من نفسه ضحية للعنف الرّمزي الممارس عليه، لا بل وقد يعتاد عليه أيضا لدرجة عدم اعتباره عنفا من الأساس.

وقد بدأ استخدام هذا المصطلح من قبل علماء الاجتماع والمؤلفين الآخرين في أوائل التسعينات؛ حيث بذل **بورديو** جهودًا للتأكيد على أن العنف الرمزي ليس عملاً عمداً من قبل قوة مهيمنة، بل هو تعزيز غير واعي للوضع الراهن الذي يُنظر إليه على أنه "القاعدة" من قبل أولئك الموجودين داخل تلك الطبقة الاجتماعية. فهو عنف غامض مستتر، يتماهى، ويتوارى خلف الكثير من السلوكيات اليومية المقبولة اجتماعياً وثقافياً وإيديولوجياً، ودينياً، وتكون نتائجه خطرة وكارثية لأنه يُطَبع الشخصية على العنف ويناوب الأدوار بين الجلاد والضحية ويؤسس ويثقف بشكل مستتر للعنف الصريح (الجسدي والمعنوي) فالعنف الرمزي مقارنة بأي شكل آخر من أشكال العنف يكون غامضاً مستتراً خفياً ناعماً، ولكن نتائجه قد تكون كارثية فيما يتعلق بتوجهات الحياة الاجتماعية بمساراتها الفكرية والأيديولوجية. ويضاف إلى ذلك أن العنف الرمزي عنف إشكالي وظيفي، يحمل في ذاته طابعاً أيديولوجياً، وهو يثير كثيراً من الجدل بين الباحثين والمفكرين. (Bourdieu، 2009)

II- مظاهر العنف الرمزي عند Bourdieu

II -1- العنف الرّمزي والهيمنة الذكورية:

تمثل الهيمنة موضوعاً أساسياً انكبّ عليه **(Pierre Bourdieu)** درساً وتحليلاً، قبل مؤلفه الذي يحمل اسم "الهيمنة الذكورية" بسنوات عديدة، وذلك في سياق تشريحه للعلاقات القائمة بين الأفراد في مختلف حقول العالم الاجتماعي/ المجتمع، وليس فقط في الحقل السياسي أو السلطة السياسية؛ لأنّ أكثر الحقول التي لا تعلن عن نفسها كحقول هيمنة واستعباد إنّما تستثمر كلّ أدوات التخفي والاحتجاب لتمارس التقنع والمخاتلة والمراوغة والخداع .(بورديو)

ولقد وجّه (بورديو) الانتباه نحو الاهتمام بموضوع العنف الرّمزي الذي يشكّل أساس موضوع هيمنة الذكور la domination masculine ، وطوّر (بورديو) هذا المفهوم –خاصة في الخطوط العريضة لنظرية الممارسة عام 1972- باعتباره مفيدا لفهم وتحليل العلاقات الاجتماعية بين الجنسين باعتباره يفتح من نظرة سوسيولوجية مجموعة كاملة من الظواهر والتي لولا هذا المفهوم، كانت ستبقى بعيدة عن التحليل المنهجي. (بورديو)

وعلى الرغم من أنّ العنف الجسدي والكره والإكراه والتخويف، اهتموا بالتفاعلات بين الجنسين (رجالا ونساء)، إلاّ أنّه سيكون من الصعب شرح القوة الاجتماعية لهيمنة الذكور - وحتى أعمال العنف الجسدي الممارسة ضد المرأة في الحياة اليومية - دون اللجوء إلى العنف الرمزي، هذا العنف الذي لا ينظر له مثلما هو، لأنّه ليس سوى تطبيق لنظام اجتماعي، ونظرة لعالم متجذّر في عادة المهيمن والمهيمن عليها.

نحن إذن أمام عنوان دال ممتد وعميق، فـ "الهيمنة الذكورية" مفهوم يختصر واقعاً قائماً لا يساهم فيه الذكور وحدهم وإنما الإناث أيضاً وبشكل لا واع، إنّه اشتراك الضحية والجلاد في تبنّي التّصورات والمقولات التصنيفية ذاتها، ممّا يسمح بالحديث عن إعادة إنتاج الهيمنة والمحافظة.

وقد وصف (بورديو) العنف الرّمزي بأنّه عنف لطيف باعتباره نموذجا عاما للهيمنة، بينما اعتبر الهيمنة الذكورية كحالة خاصة لهذا النّموذج. ولكن من الواضح أنّ هذه الحالة (الهيمنة الذكورية) هي التي دفعته إلى التفكير في أهمّية العنف الرّمزي كوسيلة للهيمنة الحديثة. وخير مثال عن حالة دراسة العنف الرمزي أنّه دون هذا المفهوم، سيكون من الصعب فهم تبني المرأة لوجهة النظر المهيمنة، والتي قد تشكّل صورة سلبية ومهينة ومذلّة لها. في نفس الوقت، هذا الخضوع، وحتى دمج وجهة النظر السائدة، يسلط الضوء بقوة على ما تعنيه الهيمنة.(Krais, 1999)

ويلحظ (بورديو) منذ البداية ثبات البنى الجنسية واستقلاليتها بالنسبة إلى البنى الاقتصادية وإلى أنماط إعادة الإنتاج بالنسبة للإنتاج على عكس ما تدّعيه النظريات المادّية، ويأخذ (بورديو) مجتمع القبائل في الجزائر نموذجا لمجتمع المركزية الذكورية لكشف بعض السمات الأكثر تستّرا داخل المجتمعات المعاصرة التي مازالت تقوم على الهيمنة الذكورية من خلال التمييز الرّمزي بين ما هو مذكّر وما هو مؤنّث وبالتالي التمييز بين ما هو ذكوري وما هو أنثوي، وهو يبرّر الاختلاف البنيوب الاجتماعي بين الجنسين خاصة ما يتعلّق بالتقسيم الجنسي للعمل بالاختلاف التّشريحي بين الجنسين، كما يعتبر (بورديو) أنّ الهيمنة الذكورية مازالت قائمة عبر ما يسمّيه بالعنف الرّمزي. (Bourdieu، 2009)

ويؤكّد (بورديو) على أنّ التنشئة الاجتماعية التفاضلية" **تهيّئ الرجال لحب ألعاب السلطة وتهيّئ النساء لحب الرجال الذين يلعبونها، فالكاريزما الذكورية هي في جزء منها سحر السلطة، والإغراء الذي يمارسه تملك السلطة بذاتها على أجساد دو افعها ورغباتها تمّت تنشئتها الاجتماعية والسياسية.** بهذا المعنى فالرجولة، من حيث هي فضيلة، واجب وجود (Devoir être) تفرض نفسها كأمر مفروغ منه، وعلى غرار الشرف تأخذ أشكالاً جسدية واستعدادات متضامنة مع طريقة التفكير والفعل كخلق(Ethos) ، في تعارض مع النساء، لهذا وفي مجالات العمل، كي تستطيع امرأة شغل مركز ما فإنّ عليها أن تحوز من الخصائص والصفات ما هو في حوزة الرجال أصلاً، بدءاً بالقامة والصوت والثقة وصولاً إلى الاستعدادات العدوانية، الخ. (بورديو).

ويعتبر (بورديو) أنّ النساء هنّ أسوأ أعداء أنفسهن، فهنّ يتلذّذن بالممارسات التي تنزل بهنّ عبر شكل من المازوشية المكوّنة لطبيعتهن، ويجب الإقرار في الوقت ذاته بأنّ الاستعدادات الخاضعة التي نسمح بها أحيانا لتأنيب الضحية هي نتاج البنى الموضوعية، وأنّ تلك البنى لا تدين بفعاليتها إلاّ للاستعدادات التي تحرّكها وتساهم في إعادة إنتاجها، فالسلطة الرّمزية لا يمكن أن تمارس من دون مساهمة أولئك

الذين تصيبهم والتي لا تصيبهم إلاّ لأنّهم بنوها كما هي. (Bourdieu، 2009، صفحة 70)؛ وقد أجاب (بورديو) عن تساؤل : ألا تملك النّساء أي ردود فعل ضدّ هذه الهيمنة؟ بأنّه: لا شك في أنّ النساء استطعن أن يبلورن استراتيجيات رمزية ضدّ هيمنة الذكور، غير أنّها تبقى استراتيجيات ضعيفة، لأنّ أسلحة الضعيف حتماً ضعيفة، ومنها السحر والمكر والكيد والحيلة والحب الاستئثاري. فالنهايات التي تصبو النساء إليها تبقى هي الحب أو الوهن الجنسي للرجل المحبوب - المكروه، وهي استراتيجيات غير كافية لتثوير علاقة الهيمنة، بل تمنح بالمقابل تأكيداً قوياً لفكرة النساء الشريرات أو النساء ككائنات شريرة، خلافاً لما يوحي بذلك مظهرهن. (بورديو)

وختاماً، يؤكّد (بورديو) أنّ المدخل الحقيقي للحدّ من الهيمنة الذكورية هو "ثورة في المعرفة، تستوعب مختلف تأثيرات الهيمنة الممارسة، من خلال **تواطؤ موضوعي** بين البنيات المستدمجة لدى النساء والرجال على السواء، وبين المؤسسات والهيئات التي تولّد النظام الذكوري بوصفه جزءاً من النظام الاجتماعي ككل، لكنّها ثورة تستوعب أكثر لأنّ تحققها يقوم على مبدأ التدرّج والتراكم.

II -2- العنف الرّمزي والمدرسة:

يعد العنف المدرسي من بين أهم مظاهر العنف في المجتمع التي أشار لها (بورديو)، فعنف المعلم والمعلمة للأطفال التلاميذ، وربما يمتد ويتكاثر في مختلف مراحل التربية والتعليم وبقية المهن، ما يزال مستمرا ومتواصلا إلى غاية يومنا هذا، ولعلّ ما يمارس من عنف في مؤسساتنا التعليمية لم ينل الحظ الكافي من الدراسة والتحليل، وحتى ما قدّمه المحلّلون في هذا المجال يكاد يدور في نطاق مظاهر العنف التي يمارسها المربي على المتعلّم، حيث يغدو المعلِّم/ المربّي، من خلال هذا المنظور، رجلاً فضاً لا يرحم تلامذته، ويذيقهم أقسى العقوبات، فقد كان هناك تركيز على ربط العنف بمرحلة معينة من التاريخ الدراسي وهو مرحلة التعليم الابتدائي مع المعلم، وقلما نجد تركيزاً على مرحلة المراهقة, رغم أهمية المرحلة

العمرية التي يمر بها التلاميذ، بصفتها مرحلة انتقالية من الطفولة إلى الرشد، يرافقها كثير من التغييرات الجسدية والنفسية والتي تترك بصماتها العميقة في شخصية الفرد، وتكيفه مع المؤسسة والمجتمع والبيئة المحيطة به. (Almeida) ؛ ذلك أن هناك حاجة ملحة للمربين وأولياء الأمور، ومن يتعاملون مع هؤلاء المراهقين إلى التعرف على خصائص شخصية المراهقين وما يرافقها من انفعالات مختلفة...بحيث يمكنهم التعامل معهم بوعي، ومساعدتهم لتجاوز مشكلاتهم النفسية، وانفعالاتهم الطارئة وردود فعلهم المختلفة... وقد تمظهرت أشكال ممارسة هذا العنف المادي من خلال فعل الضرب والجرح وإساءة الآداب، والعنف الرمزي (التحرشات المختلفة، استفحال ظاهرة الكلام النابي، تنامي السلوكيات غير المتسامحة ...). كل هذا وغيره هو الذي وجب التنبيه إليه، والتحذير من مغبته، وبالتالي قرع ناقوس الخطر على المنحى التربوي الذي غدت تعرفه الكثير من مؤسساتنا التعليمية (Almeida).

وخير مثال على ذلك كثرة الجرائم في المدارس خاصة ضدّ الأستاذ أو المعلّم من قبل طلبته أو تلاميذه، والتي قد تكون كنتيجة للعنف الرمزي، حيث يمكن أن يكون هذا العنف الرمزي سببا في العنف الجسدي (مثال الأستاذة التي طعنت في باتنة).

ويرى **بورديو** أنّ النظام التربوي في المجتمعات ذات التفاوت الطبقي يعتبر أحد الآليات الأساسية الفعالة في ترسيخ النمط الاجتماعي السائد في تلك المجتمعات، وهذا يبدو جليا من خلال بنية الفرصة النسبية المتاحة لأبناء الطبقات المختلفة لدخول النظام التعليمي في مراحله المختلفة هذا من جهة، ومن جهة أخرى ثمة مظهر آخر لهذا العنف الممارس وهو في تنوع المدارس في المجتمع الواحد واختلاف مستوياتها باختلاف الأصول الطبقية للتلاميذ الداخلين إليها فأبناء الطبقات العليا هم الذين يحتلون المدارس ذات النوعية الرفيعة وعلى ذلك؛ فالتنوع في المدارس واختلاف مستوياتها إنما يعكس صور هذا التفاوت الطبقي ويجسد بشكل واضح أحد أهم مظاهر العنف الثقافي في المجتمعات الحديثة.

II -2- العنف الرّمزي ووسائل الإعلام:

كرّس بورديو في السنوات الأخيرة من التسعينيات، اهتماماً كبيراً لنقد الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام والميديا الجديدة في فرنسا، وشن نقداً حاداً على فساد وسائل الإعلام الفرنسية وتبعية المثقفين الفرنسيين الذين أطلق عليهم "كلاب الحراسة الجدد" ، كما ركّز بشكل خاص على الدور الخطير الذي يلعبه التلفزيون في تكريس الأوضاع والمصالح السائدة، وفي التفريغ السياسي واللعب بعقول المستهلكين من المشاهدين، واعتبره أداة إعلامية خطيرة تمارس العنف ضد المواطنين، إذ تقدم لهم ما تشتهيه السلطة المهيمنة التي تستغل وسائل الإعلام لتحقيق مصالحها وأهدافها وأرباحها. ومن ثم، يتلاعب التلفزيون بعقول الناس، وينشر بينهم إيديولوجية الدولة المهيمنة، وأفكار الطبقة الحاكمة. وهذا يهدد – فعلا- الثقافة والفن والديمقراطية الحقيقية (بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، 2004، صفحة 12). وينطبق هذا الحكم نفسه على الصحافة التي صارت من الوسائل الخطيرة التي تشارك الفئات الحاكمة في ممارسة العنف الرمزي ضد الآخرين؛ وفي الأخير، ينتج العنف الرمزي عن اختلاف أنماط الرأسمال لدى الفاعلين المجتمعيين باختلاف مواقعهم الاجتماعية، ووجود طبقات اجتماعية مسيطرة ومسيطر عليها، واختلاف مصالح الأفراد والجماعات من حقل إلى آخر، ووجود تفاوت اجتماعي وطبقي بين الجماعات (Jacob، 1996)، فوسائل الإعلام قادرة على نشر نمط سلوكي وثقافي واجتماعي ينتهجه الفرد والمجتمع. وفي ذلك تناول (بورديو) في كتابه "**التليفزيون وآليات التلاعب بالعقول**" بنية وسائل الإعلام الحديثة وآليات عملها وتحديدا التليفزيون، بفتح الطريق بشكل غير مباشر للتأمل والتفكير فيما هو أبعد من ذلك، وتحديدا طبيعة المجتمع الذي نعيش فيه، فالمجتمع يخضع في الوقت الراهن، وفقا لـ (بورديو) لأدوات ضبط وتحكم تهدف إلى توجيهه نحو

استراتيجيات محددة، ودور أدوات الضبط والتحكم هذه هو إحكام السيطرة على الجوانب الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. (يسمينة و بخوش، 2022)

لقد أبدى (بورديو) اهتماما كبيرا لنقد الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام...وفي هذا يقول:"إن المنظومات الرمزية بما هي أدوات تواصل ومعرفة تشكل بنيات تخضع العالم تؤدي وظيفتها الأساسية من حيث هي أدوات لفرض السيادة وإعطاء صفة المشروعية التي تساهم في ضمان هيمنة طبقة على طبقة أخرى". (يسمينة و بخوش، 2022)؛ حيث يعتبر أنّ الموضوع المعروض من قبل هذه الوسائل قد تمّ فرضه، وأنّ شروط الاتصال والحوار تم فرضها، كما أنّ تحديد الزمن المفروض على خطاب المشاركين يفرض بشكل خاص حدودا صارمة بحيث يصبح من غير المحتمل وجود إمكانية لقول شيء ما، وهذه الرّقابة مثلما تمارس على المدعوين (المواطنين)، تمارس أيضا على الصحفيين ومقدمي البرامج (بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، 2004، صفحة 45)؛ ويعتقد (بورديو) أن القنوات التليفزيونية وبشكل خاص الفضائية منها لم تعد مجرد قنوات تقدم برامج للتسلية أو للتثقيف فقط إنما أصبحت أدوات للضبط والتحكم السياسي والاجتماعي..أو هي وفقا للمصطلح الذي يستخدمه (بيير بورديو) عبارة عن أدوات للعنف الرمزي..

ويرى (بورديو) أن التليفزيون يعتبر وعاء حاويا للعنف الرمزي، فإلى جانب ما يقدمه من برامج ومعلومات في مختلف المضامين، نجده يخفي العديد من الدلالات الرمزية التي تعكس حسب (بورديو) الفاعلين المهيمنين الذين يتحكمون في هذه الوسيلة، فالعنف عبر التليفزيون إذن وفي إطار ما يقدمه من مضامين يظهر لنا تنوعا له، والذي يتكيف والمضمون، أو القالب الذي يتخذه. (يسمينة و بخوش، 2022). ويؤكّد (بورديو) أنّ هذا العنف الرّمزي الممارس من التلفزيون، هو عنف مفسد ومؤذي بشكل خاص وخطير، وهو يتم بتواطؤ ضمني من قبل هؤلاء الذين يخضعون له وأولئك الذين يمارسونه بالقدر الذي يكون فيه أولئك كما هؤلاء غير

واعين بالخضوع لهذا العنف. والتلفزيون يمارس العنف أيضا من خلال التركيز على الأحداث المتفرّقة وتجنّب المعلومات الملائمة التي يجب أن يمتلكها المواطن في الوقت المناسب كي يمارس حقوقه الديمقراطية، وهذا ما أطلق عليه "لعبة المنع بواسطة العرض". (بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، 2004، صفحة 48)

خاتمة

بعد أن استعرضنا دلالات العنف الرمزي، وابرز مظاهره التي أشار لها الباحث والناقد الفرنسي (بيير بورديو) في مختلف مؤلفاته، يبقى السؤال الأهم هو ماذا نعمل لمواجهة ومكافحة العنف الرمزي؟؟

إذا كان العنف ظاهرة اجتماعية مرهونة بمستوى تغيير الظروف الاجتماعية والاقتصادية في كل مجتمع لن يتاح لنا خلال رسم بعض الأفكار ان نؤثر كثيراً في هذه الظاهرة، لعله نظامنا التربوي على المستوى الرسمي (الوزارات المؤسسات) يتبنى أحدث النظريات التربوية التي تمنع استخدام العنف والضرب في المدرسة، ومع ذلك الظاهرة مستمرة وهذا يعود لأسباب اجتماعية تتعلق بالذهنية الاجتماعية والظروف الاجتماعية السائدة.

ان التباين في اعتماد الأسلوب التربوي بين المدرسة والأسرة يطرح إشكالية تحتاج الى البحث والعناية، فعندما تتبنى الأسرة منهجاً ديمقراطياً متكاملاً في تربية الطفل، وعندما يعتمد المعلم أسلوباً تسلطياً فإن ذلك يمثل وضعاً حرجاً للأسرة والطفل وعلى العكس من ذلك إذا كان المعلم ديمقراطياً والأسرة استبدادية فإن ذلك يضع المعلم في موقف حرج وغالباً ما تكون حالة التوافق في الأسلوب بين المؤسستين أكثر شيوعاً لان المدرسة تكون في أكثر حالاتها امتداداً لما يجري في إطار الأسرة.

ومن هنا لابد من التوقف عند بعض المقترحات لصاحب القرار للالتفات إليها ودراستها ومحاولة تطبيقها، ومنها:

- تنمية وتطوير الوعي التربوي على مستوى الأسرة والمدرسة، ويتم ذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة، ومن خلال إخضاع المعلمين والآباء لدورات علمية حول أفضل السبل في تربية الأطفال ومعاملتهم.
- تحقيق الاتصال الدائم بين المدرسة والأسرة وإقامة ندوات تربوية خاصة بتنشئة الأطفال.
- تعزيز وتدعيم تجربة الإرشاد الاجتماعي والتربوي في المدارس وإتاحة الفرصة أمام المرشدين من أجل رعاية الأطفال وحمايتهم وحل مشكلاتهم ومساعدتهم في تجاوز الصعوبات التي تعترضهم.
- ربط المدارس بمركز الرعاية الاجتماعية والنفسية الذي يحتوي على عدد من الاختصاصيين في مجال علماء النفس والصحة النفسية والخدمة الاجتماعية، حيث تتم مساعدة الأطفال الذين يعانون من صعوبات كبيرة في تكيفهم المدرسي، وحل المشكلات السلوكية والنفسية التي يعجز المرشد عن إيجاد حلول لها، أي أن يكون مرجعية تربوية نفسية واجتماعية لكل محافظة، أو مدينة على الأقل.
- توجيه هيئات الإعلام والاتصال الحكومية وغيرها على إيجاد ضابطة بث وطنية تقع على عاتقها مراقبة أداء وسائل الإعلام وحثها على صناعة برامج تربوية عبر قنوات الإعلام المختلفة، وتخفيف المنتج الإعلامي المعروض الذي يستبطن بث العنف الرمزي في البرامج والأفلام والمسلسلات.
- توجيه الخطاب المنبري والثقافي والتوجيهي نحو لفت الانتباه إلى الأحكام الشرعية والذوقية والإنسانية بالابتعاد عن استخدام العنف الرمزي وتبيان مخاطره العديدة.
- السعي لإقامة ورش تدريب وتوجيه للمؤسسات التربوية لتدريب الجمهور التربوي على تذويب المفردات الخشنة أو أساليب العنف الكلامي وتدريب الطلبة على استعمالات لغة المسالمة والمسامحة فيما بينهم لإشاعة ثقافة التواصل الكلامي الإيجابي.

الإحالات والمراجع:

Almeida, G. D. (s.d.). De la violence scolaire, le pouvoir de la violence symbolique. p. 3.

Bourdieu, p. (2009). *الهيمنة الذكورية.* (س. قعفراني, Trad.) بيروت :المنظمة العربية للترجمة.

Jacob, J.-P. (1996). *Sur la télévision suivi de L'emprise du journalisme, par Pierre Bourdieu.* Consulté le 2023, sur https://doi.org/10.4000/apad.572.

Krais, B. (1999). autour du livre de pierre Bourdieu la domination masculine. *travail, genre et societés* (1), p. 214.

Landry, J.-M. (2006). la violence symbolique chez bourdieu. *Aspects sociologiques, volume 13, no1* , p. 86.

بورديو ,ب .(s.d.) .*الهيمنة الذكورية، مومنون بلا حدود للدراسات والأبحاث،عن الموقع الالكتروني:*

. Consulté le février 24, 2023 https://www.mominoun.com/articles/

بورديو ,ب .(2004) .*التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول*) .د .الحلوجي (.Trad ,دمشق :دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية.

يسمينة ,ب .ع & .,بخوش ,ن .(2022) .العنف من وسائل الإعلام إلى مواقع التوزاصل الاجتماعي : الفيسبوك كآلية جديدة للعنف الرمزي في البيئة الافتراضية .*مجلة دراسات انسانية واجتماعية* .(3) *11* ,